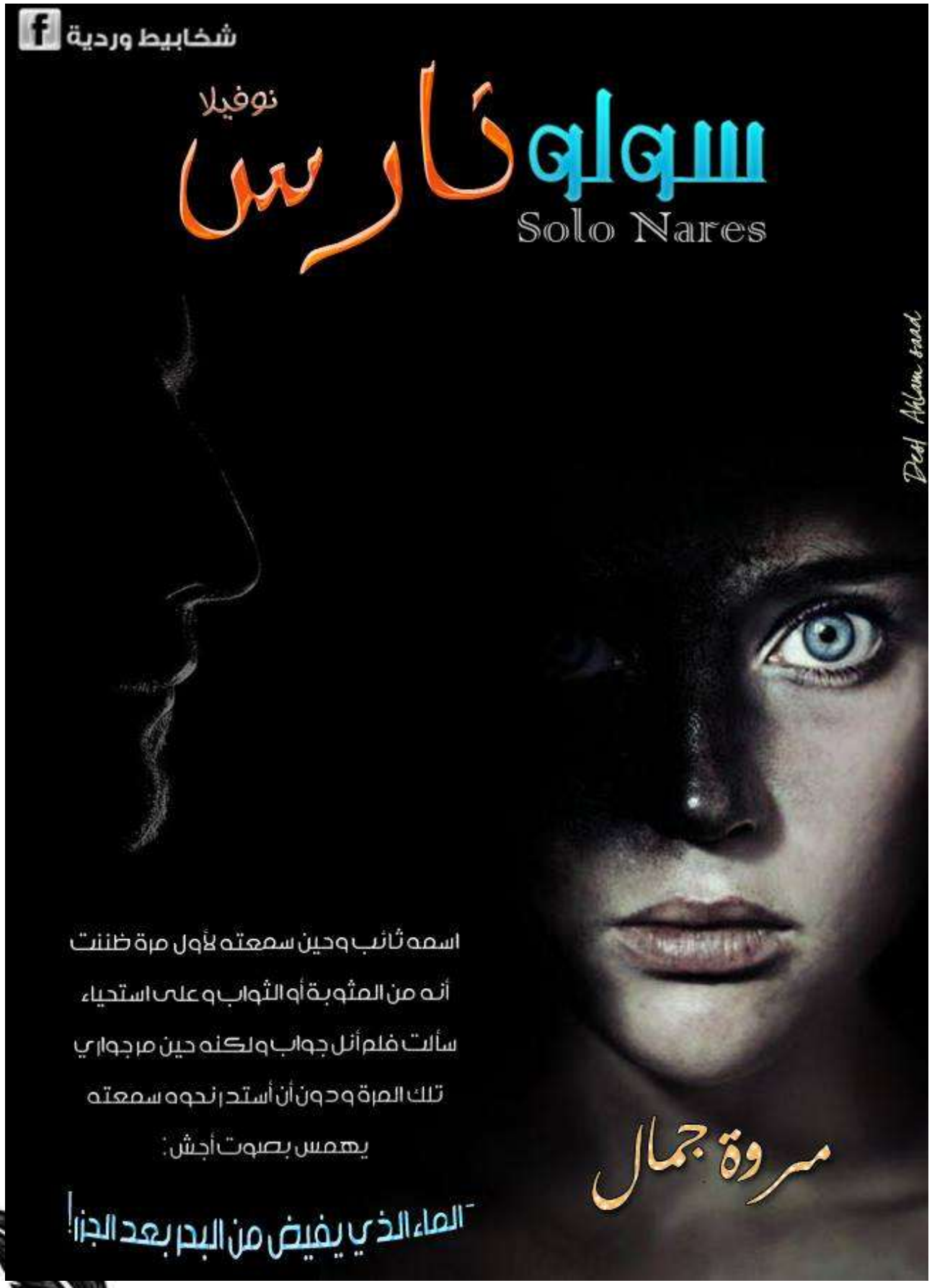
شخابيط وردية
نوفيلا
سولو نارس
Solo Nares
اسمه ثائب وحين سمعته لأول مرة ظننت
أنه من المثوبة أو الثواب وعلى استحياء
سألت فلم أنل جواب ولكنه حين مر جواري
تلك المرة ودون أن أستدر نحوه سمعته
يهمس بصوت أجش:
"الماء الذي يفيض من البدر بعد الجزر!"
مروة جمال

سولوفارس

نوفيلا "

بقلم / مروة جمال

جروب

شخابيط وردية

إبداع الحرف وعشق الأبجدية

للدخول للجروب على الفيس بوك

/www.facebook.com/groups/shakhabeit.wardia

فريق العمل

غلاف

أحلام سعد

قالب داخلي

صابرين الديب

تنسيق

مروة جمال

إلى امرأة مُرهقة قررت أن تختلس من الزمن ساعة، واختارت أوراقي كي تنعم بلحظة هادئة

أعتذر!

(1)

ضجيج ..

زامور السيارات يزأر جواري كلما مررت بذاك الحذاء الضخم الذي كان يخص جدتي، أمي تقول أنني فتاة حمقاء في حذاء امرأة عجوز

أمي تقول أنني فتاة عجوز !

أتجاهل أمي وصخب السيارات الفوضوي وأركض جوار ثلة من البشر على درج محطة مترو.. رائحة العرق عبق معتاد بدا وكأننا لا نستطيع أن نحيا دونه، موظف حجز التذاكر يلوك في فمه علكة امرأة ويتحدث لزميله عن

وصفة محشي! نقودي قديمة مكرمشة وناولني هو عملة صدئة، عدل الطبيعة..

تركته وقذفت بنفسي في أول عربة، لم تكن عربة السيدات ولم أكترث.. آخر مرة تحرشت بي فتاة !

أنا لست من النوع الثرثار الشاكي الباكي، مررت الأمر وكأنه كان تفتيشاً سخيفاً قبل بوابة طائرة لن أستقلها.. ولكن لم يكن بي رغبة في تكراره .

أنا لا أجلس في المترو.. أبتعد دوماً عّن عراكات المقاعد، على يميني كانت تقف امرأة في شهرها التاسع وجوارها شاب لم يفكر في ترك مقعده.. أمامي عجوز سبعيني يقرأ في جريدة الأمس متجاهلاً كل الأخبار السياسية ويحادث

من جواره عن فوز الزمالك. وبعده مباشرة قرب الباب وصريره المعتاد تضع امرأة هاتفها المحمول في وشاحها وتحادث جارتها عن جارة آخرى بينما يديها تحيك بسرعة متقنة كنزة صوفية حمراء تناسب طفلة وتضرب الأرض بكعب حذاءها في حركة غير مفهومة حتى خلعته بشكل مفاجيء وهوت به فوق رأس الرجل الذي يقابلها قبل أن تصرخ

"متحرش"

لا أعلم لم لم يزعجني الأمر، الرجل كان يبدو عليه ملامح الاختلال الجنسية لمن هم في مثل حالته، جسد هزيل.. نظر زائغ.. وجه داكن مسحوب الحياة.. وشفتان

زرقتهما لن تجذبا امرأة، مقزز متعرق يلمس نفسه في دعوة لا تناسب سوى التقيؤ. بالأحرى مسكين إلا أنني أعتقد كما يعتقدون جميعهم .

هو كائن طفيلي يستحق الموت

****

(2)

وصلت وجهتي بنصف سلام وبحذاء جدتي العجوز نحو منزل بسمة، لا أعتبرها صديقة مقربة ولكنها زميلة دراسة دئوب تحرص دوماً على الحصول على جميع الأوراق المطلوبة ولا تحرز تقدماً ملموساً في النهاية، ترددت لوهلة حين طلبت مني أن أقوم بتفسير ما يصعب عليها في المنهج بمقابل مادي إلا أن إصرارها ومنطقية عرضها واحتياجي للمال كانوا الأكثر حزماً .

منزلها يبعد عن منزلي ثلاث محطات.. حي لا يختلف كثيراً عن ذاك الذي أقطن به ولكن أبيها له تجارة ما تدر عليهم ما يحتاجونه عكس أبي الذي مات بعمله الحكومي تاركاً معاشاً لا يكفي ستة أخوة وزوجة كان خيارها الوحيد ماكينة خياطة .

حتى الفقر متشابه لا توجد به ابتكارات

منزل بسمة حميمي لطيف، لها أختان يصغرانها بأعوام قليلة وأخ أكبر لمحته مرة واحدة ولم أرفع نظري نحوه ولكن نبرة صوته ظلت عالقة في ذهني رغم أنه لم يقل سوى السلام عليكم، بعدها اعتدت على ثرثرة بسمة بشأنه.. هو أخوهم الوحيد ولهذا هو العدو والبطل في آن واحد. اسمه ثائب وحين سمعته لأول مرة ظننت أنه من المثوبة أو الثواب وعلى استحياء سألت بسمة فلم تجبني ولكنه حين مر جواري تلك المرة ودون أن أستدر نحوه سمعته يهمس بصوت أجش :

-الماء الذي يفيض من البحر بعد الجزر !

وكان هذا هو.. الرجل الذي أحببته، وكرهته كما لم تفيض المشاعر من قبل

كهو الماء الذي رفض البحر القبول به وتوسلته الأرض لينصَّب ملكاً فوق عرش شاطئ !

****

(3)

أنا لست جميلة !

ولا أكترث بالأمر كجميع النساء، إلا أنني في هذا اليوم وحين استشعرت عطره عندما مال نحوي بما أراد قوله عدت إلى منزلي أفكر به ..

كيف يحتل رجل أفكار امرأة بلفتة بسيطة كتلك !

بسمة تقول دوماً أنني فتاة جامدة القلب والمشاعر، لا ألتفت لزملائنا أو انتبه مثلهن بل حتى لا أحفظ من ملامحهم شيء.. ولا أعلم ما الذي يجب أن يعجبني في فتى رقيق ملون يتباهى بسيارة ابتاعها له والده .

أما ثائب فلا أعلم.. هو فرض نفسه ولا أدرك كيف؟ !

بسمة تقول أنه الحب، وأنه تعلق بي حين أخبرته عني رغم أنه لم يقل سوى كلمات مبتورة مفادها

فتاة جيدة !

لم أكن أعلم هل علي أن ابتهج كما تدعي لأنني أول فتاة يعلق بشأنها أم أغضب لتلك الإهانة المبطنة .

وتصرفت كامرأة، تحججت بأعذار وهمية وهربت من مواعيد بسمة وأقسمت ألا تخطو قدمي منزلهم مجدداً .

تشبثت بهيئتي المعتادة وحذاء جدتي العجوز، راقبت وجهي المثلث المتواضع الملامح، شفتاي الرفيعتان.. ذقني المدبب.. جبهتي العريضة.. خدي النحيل.. كل ما أمتلك عينان مسحوبتان برقة حالمية لا تناسبني ..

نعم.. أنا فتاة لا تليق بالحب، أو لا يليق بي ..

المأساة واحدة .

مرت الأيام بعدها متشابهة، اختفت بسمة ولم تحاول الاتصال بي مجدداً وهنا أيقنت أنني كنّت مجرد فكرة مرت على خاطره دون أن تحفر ذكرى .

حتى جاء ذاك اليوم الذي بدل حياتي كلها، وجدت أمي تستقبلني بحفاوة راضية بينما يقفز أخوتي الصغار في ابتهاج ملابس جديدة. نظرت لها في استفهام لا يحمل طاقة لتكهن أو محاورة وأجابت هي بانفعال مباشر يحمل ملاذ راحة لم أتوقع تشبثها به

-أحدهم يود التقدم لخطبتك

ومتابعة لاهثة سريعة تبيح توضيح الأمور:

-يعرفك.. هو أخو صديقتك تلك ولديه منزل جاهز ويعمل في تجارة أبيه

بدا عرضاً غير قابل للمجادلة، ولن أنكر.. كنت سعيدة

"ثائب"

****

(4)

بعد مرور ثلاث سنوات

أحمم نادية.. للمرة الرابعة تلطخ وجهها بمعجون الأسنان وأضطر لتقشيره من على وجنتيها .

تركض حافية بصخب يمنح الجدران حياة، لتوها أتقنت الركض.. عمرها عامين وقد وُلدت بعد زواجنا بعشرة أشهر. وضعتها في الفراش بعد أن تناولت عشاءها مع بعض الحليب وعدت له تسبقني نبرتي الباردة في رداء امرأة لا أعرفها .

-تريد العشاء

-لا

نبرتي جافة ونبرته قاطعة.. استدار وقد بدا متأنقاً يحادث أحدهم بتعجل على الهاتف قبل أن يتخطاني مكملاً بلا اهتمام :

-حسناً يا سلطان خمس دقائق

حتى أنه لم يكن يحادثني !

ككل ليلة مثل عادته في الشهور الأخيرة.. يختفي مع أصدقاء جدد وتشكو أمه أنه لم يعد يسأل عنها كما قبل، يعود ثابتاً كصخرة لا مترنحاً ولا به رائحة خمر.. إلا أنه يعود كل مرة رجلاً آخر

رجلاً غريباً غير ذاك الذي تزوجته.

في أحد الليالي فوجئت به يجاورني بقسوة مباشرة تطلبني كامرأة، كنت قد اعتدت تأرجحه بين الخشونة والرحمة وكان دوماً يبرر هذا بأنه رجل كمد البحر وجزره يفيض وينتهي، وليس بالحنان.. بل بالقسوة !

سألته في لحظة وفاق :

-لمَ تزوجنا؟

وأجاب ليلتها بصراحة أكثر مما يجب :

-لأنني احتجت امرأة

آلمتني الكلمة.. أنا التي لم أنحني يوماً لرجل.. لم أنتبه لتفاصيل العشق وتضحياته، ولم أبالي بأنوثة منتهية تطغى على فردوس العقل .

اجتاحتني ثورة صامتة مرّ هو على تفاصيلها بتأنٍ كان يجيده.. جبهتي.. وجنتاي.. ثغري.. مواطن النبض على جانبي عنقي.. قال بثباتٍ خشن دون أن تنتنهج عيناه أي انفعال عاطفي معتاد:

-ولكن أحببتك !

وبدا وكأنه سحبني معه لـ قاعٍ قاتم، مُربك، مظلم، وضبابي..

أتلمس فيه النجاة جواره ومنه ..

كان أحياناً يأخد بيدي فوق سحابة حالمة لم أطلبها وأحياناً يرمي بي وسط جحيم عقابي فقط لأنني تجرأت وامتلكت قلبه .

كان يقول :

- النساء لم يخلقن للحب.. وهن يعرفن مقدارهن كجسد

صرخت متذمرة :

- أنا لست بجسد مغوي وأنت قلتها مراراً فما مقصدك

سخر مني في لحظتها :

- ماذا تريدين أن تكوني.. الحب أم الجسد

أجبته دون تفكير :

- الحب

قال بنبرة ضبابية :

- أعلم.. ولكني أريد جسدك

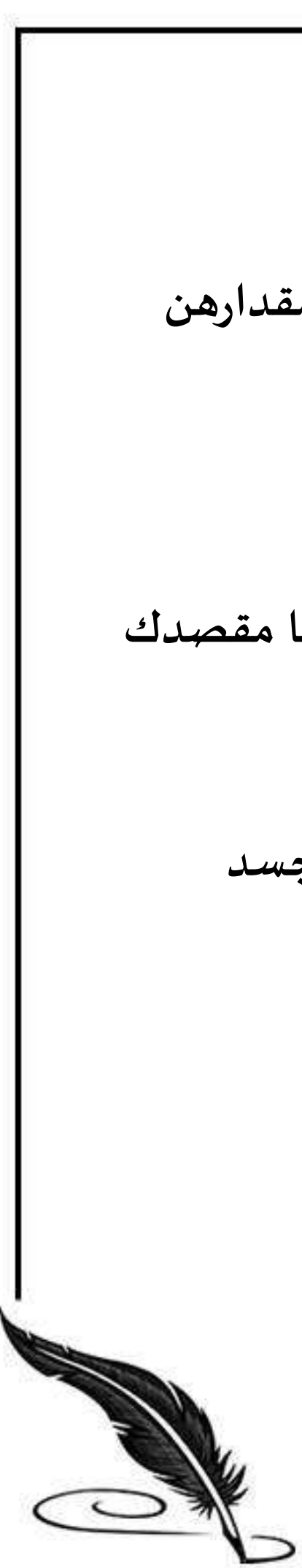

وهكذا كنّا بين ثورة وخمود.. يحاورني وأناوره، يسبر أغواري ولا أفهمه.. يبتعد كغريب مرّ مصادفة على منزل امرأة وابنتها ويعود كزوج حنون لا أريد من عطاءه سوى طاولة تجمعنا وثرثرة ناعمة في أذن طفلتي بـ حكاية نوم .

تمر الحياة بتفاصيلها المكررة.. وإن غاب أو ابتعد

أسقطتني في متاهاته، أو انتشلني بـ عِبارة

صنفني كامرأة في محيط احتياج جارف أو رفعني فوق قدر عاطفي منحني الأنثى والحبيبة في لقاء واحد .

مرّت وأقصى مخاوفي لم تتعدى عراك على صُحبة سوء.. أو مخدر ما يتسلل نحو ثبات عقله، وربما.. نفور مني يُذيَّل بخاتمة النهاية على تلك الزيجة .

لم أكن أعلم أنه في ليلة ما، ومطر مشتد جاء مبكراً عن موعده.. وعودتي مضطرة بوقت كان محدداً لـ مبيت ببيت أمي

لم أكن أعلم أنني سأنال تفاصيل مشهداً له فيه دور البطولة فوق جسد امرأة عارية !

****

(5)

احتل العالم من حولي سكوناً غير مفهوم، الثريَّا الضخمة فوق رأسي تحيط بي كبلورة مشوهة قديمة لتحجزني في سجن مرئي أهلك به وحدي .

تحجر الدمع وانحبس الصوت وغابت الأنفاس من خلف باب موارب تراقب مشهداً إيروتيكياً بائساً بتوقيع سرده .

لم يشعر بي.. كانت نادية مستغرقة في النوم فدخلت لحظتها بحرص كي أضعها في فراشها، تساقط المطر حال دون الشعور بخطواتي وحين اقتربت من الباب بنصف تركيز ورغبة مفرطة في النوم كان لي نصيب الأسد من الحدث كله وكان له نصيب الجسد.

الفتاة كانت مستلقية باستسلام تام بين ذراعيه، في البداية لم ألمح وجهها.. رأيت كل شيء منها سوى الملامح ..

جسدها الممتليء باللحم والشحم، ساقاها القصيرتان.. نهداها اللذان باتا ببساطة ملكه.. حتى أنينها الشبه مكتوم.. ابتلعه في شغف!

لا أعرف هل مرت امرأة مثلي بتلك اللحظة من قبل؟! عهر زوجها نحو آخرى .

كنت معلقة في الفراغ، المساحة حولي دخانية برماد ساخن والهوة تأخذني نحوها ك قبر، وكأنني مت ألف مرة .

وجهها الآن يظهر لي.. كانت تهرب من قبلاته، قبلاته كانت مقززة مهتاجة.. أنا أهرب منها في خيالي الآن.

ملامحها كانت مستاءة، وكأنها مُجبرة.. ولكن دون مقاومة كافية .

التقت عينانا للحظة.. جزء من ثانية.. هربت أنا أم غابت هي لا أتذكر. ربما تهشمت الثريَّا فوق رأسي.. ربما سقطت وأنا أعود للخلف متيبسة بلا معنى كدرجة لون مشتتة بين الأسود والأسود .

جذبت شرشف نادية واحتضنتها بفزع مُكتمل.. فزع خانع خاضع جبان.. احتضنتها وهربت تقذفني الأرض بلا جاذبية على سحابة لحظة لن تُمحى .

****

(6)

أحمل نادية وأركض، السهول حولي صفراء مُقفرة بلا حياة.. وحرارة الشمس تحرق ظهري.. رأسي ثقيل وبصري لا يحمل سوى صورة جبل ثلجي ينتصب وسط الرمال، وحين وصلت نحوه تساقط.. تساقط ودفع الصقيع نحو جسدي الميت لـ تختفي نادية وكأنها لم تكن ويطل زوجي على لحمي المكوم كـ فريسة ثم يردم الرمال فوقي!

أعود وأذهب من الهذيان، أمي تترك جوار فراشي مسجلاً قديماً يكرر الآيات والأذكار وتواسي حضوره المتقطع على مدار ثلاث أيام بصوتها الثقيل المُتعب:

- فُرات محمومة يا ثائب

لا يجيبها بـ حرف، يُطِّل عليّ بنظرة دون معنى ثم يقبل رأس نادية ويرحل.. يترك عبقه حولي فأختنق وتحاوطني سلاسل خيانته، والغريب أنني لا أنطق.. أحتضن نفسي في هروبٍ مثير للغثيان مواجهةً الحقيقة الوحيدة في عالمي الآن.

أنني امرأة تصلحُ للدهس!

- فُرات!

صوته مجدداً يمر بانفعال لحظي كرمال صحراء حلمي.. أهبط في الرمال وفي خشونة نبرته جوار دفءٍ لم ألمسه منذ تزوجنا

- أفتقدك فُرات.. أفتقد رائحتك في منزلنا

بـ خيالي لا أكثر واجهته!

لا ليس الخيال.. أنا أواجهه الآن، يقف في منتصف الغرفة وملامحه تتخذ انفعالاً مرضياً أسود

- خُنتني.. لقد رأيتك

لا يجيب، عيناه تفترسني بحثاً عن جواب.. أسكب أنا حروفي بلا ترتيب:

- رأيت جسدها بين ذراعيك، لقد عاشرت امرأة على فراشي أيها الحقير

أكرر.. أرتجف.. أسعل.. أشهق

- أكرهك.. أكره اللحظات التي جمعتني بك.. أكره نفسي لأنني هربت دون أن أمتلك القدرة على مواجهتك!

يمتلكني في عاصفة، يحيط جسدي كله في عناقٍ مؤلم وقبلاته الكريهة تتمكن مني في غفلة، يبرر بهمس حارق:

- هي مجرد امرأة لعوب تعثرت بها في لحظة ضعف!

أنامله ترتفع نحو وجهي، يمسح عبراتي في حنان ثم يبتعد، يتوجه نحو نافذة مُغلفة متلمساً الضوء والهواء. يفتعل في صدره حريق ثم يسألني بـ عينين صارمتين:

- هل شاهدتيني حينما...؟!

وأتوجه نحوه، أضرب صدره.. أدفعه فلا يتحرك.. أرتجف ببرودة قارصة وأتعرى بأسوء ضعف لإمرأة:

- هربت قبل أن تفعلها

جذب رأسي نحو صدره خانقاً ما تسلل من نشيج ومختنقاً بما مرة من صوته:

- لن أخدعك.. فعلتها!

وكأن يعلم أنه أسقطني في قبر، وقف فوق علوه المفتوح ونظر بلا معنى لبضعة أسماك نافقة خلفها الجزر فوق أرض يابسة وآثار صيادين كسالى.

- لن أتركك فُرات.. فأنا وأنتِ كـ المد والجزر، لا مناص لأحد دون الآخر!

****

(7)

عُدت!

لا أعلم كيف زحفت نحو القرار، ولكنني بعد عشرة أيام أصبحت في منزلي.. حين خطونا سوياً لأول مرة بعدما حدث وجدته يتوجه كاللغم نحو غرفة النوم، يغلقها ويستدير لي في بساطة موضحاً أنه استبدلها بآخرى وتجاهلته وتوجهت نحو غرفة نادية لأنام معها.

بعدها مرت الأيام ثقيلة.. تركني على راحتي فلم يطلبها مجدداً وتعلمت أنا أن أنسى أو أتناسى وأنشغل بابنتي.

كنت أهرب نحوه وكأنه آخر، أتذكر ما أحتاجه لأغفر له.. حين تزوجته كنت فتاة بلا أنوثة، أتعثر في دواخلي المُتعبة وأرمق العالم المضطرب حولي من خلف حاجز زجاجي.. كان رجلاً يجيد الكلمة واللمسة والصمت

رجلاً يهديك سحابة ضوء ثم يذيقك هدنة الظلام

والغريب أنني أدمنت كلاهما!

سألني فجأة وكنت قد أعددت عشاء نادية ووضعتها في فراشها

- كم يلزمك من الأكاذيب لتعودي لي؟!

قالها بشوق.. وكأنه جائع للمرأة بداخلي

أجبته بكل صدق أمتلكه.. وبكل حزن:

- لا أعلم.. ربما سنوات.. ربما أيام.. ربما كذبة واحدة أصدقها وأرتاح

زفر بقسوة:

- لا أعلم.. الليل يريدك والنهار عاقل.. أنا مشكلتي الليل يا فُرات

أغمضت عيني أهرب منه:

- تريدني؟

نظر لي في حزم:

- وإن قلت نعم ماذا ستفعلين؟

صمتت في مهانة.. وفي لغة آخرى عقل

تشبثت بمنطق النزوة وتخطيت وهم التمرد

وخطوت نحو غرفة نومه

وأيقنت..

أنني لم أسمها غرفتي

رأيت الفتاة

رأيته مجدداً

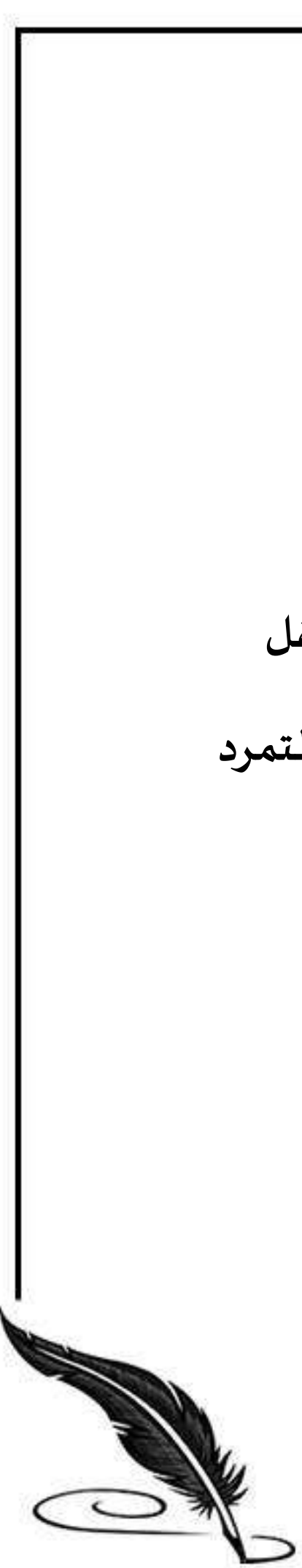

ردمت أحلامي كثباناً رملية

ومع دفء شفتيه اجتاحتني برودة

ولم أحتمل.. فتركته وهربت

- ليست كذبة واحدة ثائب.. أنا أحتاج كذبات العمر كله!

****

(8)

قالت لي جارة عجوز الحزن لا يرحل.. هو فقط ينضج فنعتاده

بكيت على كتفها، وكنت لا أعرفها جيداً ولكنني احتجت جعبة فارغة يأخذ شخص ما ثُقلها من هموم

- رأيته مع امرأة آخرى

بكيت وأنا أنطقها، والغريب أنها ضحكت.. مرت حروفها بمرارة ساخرة:

- رأيتِ أم لا ما الفارق! في الحالتين فعلها

وجادلتها.. بل صرخت ببحة منتهية:

- كنت سأتجاهل الصورة.. سأخدع عقلي على هامش حياة

رمقتني بين نظرتين وكلاهما مهين:

- ما الفارق.. أنتِ على هامش حياة!

كانت محقة.. عُدت نحو الهامش وأنا أدرك حوافه جيداً، ثائب عاد لجموده بلا ندم. يستيقظ في الظهيرة منشغلاً بعمله في تجارة أبيه ويعود قبل المغرب فيتناول الغداء بينما يداعب نادية ثم يرحل مع الليل نحو صحبته من الرجال.

مرت الحياة رتيبة بلا ضجة، أنا وهو في ممر ضيق نبحث عن بعضنا البعض بلا جدوى. ننهض في الصباح ك روبوتات آلية وننام في المساء كأغراب في استسلام قاتم للهجران.

وفي ليلة غرقت مع أفكاري أمام مرآة دورة المياة، راقبت جسدي في لحظة عفوية تخصني كامرأة

خصري

كتفي

شفتاي

نهدي

هل أراد زوجي غيري من النساء؟!

امرأة

أي امرأة؟!

أسوء.. أفضل

لم أخدع نفسي

كان جسدها أفضل

وجاء في أفضل وأسوء وقت

وبـ كل عُري

بـ كل عار

بـ كل استسلام

تركت له نفسي!

الحلم كالجزيرة الآن.. كالأشجار والطيور والزقزقة

والعواء الذي لن تتجاهله غابة

إلا أنني نجوت من الكثبان الرملية

- ثائب

همست بها في احتياج وأن أدفن رأسي في صدره اللاهث

- لا تفعلها ثانية

بدت أحقية ساذجة من أنثى قررت متابعة الحياة وإن اختنقت بالغفران

وعانقني كما لم يعانقني من قبل

- لن أكررها أبداً

وظننت أن الحياة بدأت وانتهت بين ذراعيه، تخطيت الأمر.. فكرت في طفلٍ قادم.. كتمت كل صُراخ متسلل ورسمت البسمة

تعايشت مع استيعاب سقطته

أتقنت السعادة في احتياج

جعلت وسادتي ذراعه

حتى..

حتى اصطدمت بصورة مشوشة وعنوان جريدة لا

يقرأها أحد وقعت أمام عيناي بـ مُصادفة

فتاة مفقودة!

وكانت هي.. صاحبة الجسد

صاحبة السقطة

العارية فوق فراش زوجي

****

(9)

هل قتل الفضول القطة.. أم ذبحها دون موت!

طويت الجريدة.. حبست أنفاسي كمن تنتهج ركض فوق حافة.. الصمت له وقع مُزعج.. كل شيء مسموع بتفاصيل مكررة تخنقك مرة تلو آخرى، قرقعة الأكواب في حوض الجلي.. صافرة مياة تغلي.. صوت السكين فوق طعامه.. قُبلته على جبين نادية.. صفعة الباب !

امتزج حبر الجريدة بالصورة بوجهها في ليلة غابرة

لها اسم...

لها حياة ..

وتاريخ فقد يوازي الليلة التي رأيتها بها

اختفت بعدها مباشرة !

هل اختبرت شعور الاحتجاز في تابوت مغلق تتسلل الرمال لتطبق عليك من حوافه. لا أعلم ولكن هذا ما أشعر به ..

انتفضت كالمجنونة اهذي بلا أفكار، انتبهت لتاريخ الجريدة واسمها وكانت منذ أسابيع معدودة.. رفعت نادية على ذراعي واخترت أول بائع جرائد، لم أنل سوى عدد أخير لا يحمل معلومة .

تحركت كجثة اهرب من أسوء الأفكار، أستعيد أنينها تحته ولا تفاوض ذاكرتي في التفاصيل، تمررها كصورة مرئيّة مركبة بأسوء ما يمكن احتماله

لم تكن عاهرة ..

لم تكن لعوب ..

كانت فتاة عادية تعمل في أحد المتاجر بمجمع تجاري صغير، اختفت ولم تعد لمنزلها في الليلة المشؤومة، وجهها لطيف مستدير ممتلئ تحت وشاح مزركش أسود. شفتاها ابتسامة إطارية لتلك الصور المعتادة التي نستخدمها في الاحتياجات الحكومية . على الأرجح اختارتها أمها في عُجالة بينما تمسك دقات قلبها عّن نيل الأُسوء

اللعنة.. آراها ابنتي

آراها كـ نادية !

أرى تفاصيل وجهها الهاديء وهي تخرج من مقر عملها بلا قلق، أرى زوجي!

لا أعرف كيف التقطها ولِمَ؟

ولكنني أراه.. أبصره يمارس عهراً رخيصاً فوق جسد امرأة

بل فتاة.. الخبر يقول أنها فتاة

عذراء!

كان ليلتها مع عذراء وبعدها....

اختفت

****

(10)

-ما بكِ فرات؟

قالها بنبرة قاتمة وكأن عيناي تبيح مالا يُقال..

كرر سؤاله بتأمالٍ قاسٍ فأجبت هاربة بحكاية ارتجلتها :

-كدت أقطع إصبعي بالسكين اليوم!

نظر لي في شبه صحوة:

- ثم؟!

جاوبت كآلة.. كتلة حديدية تكتشف ألماً جديداً:

- لا شيء.. لملمت الدماء وبدلت الطعام وأقنعت حالي أنها أمور تحدث! وبعدها سيكون كل شيء على ما يُرام

ردّ ببرود غامض:

- هناك أشياء لا تعد كما كانت أبداً

فنظرت نحوه مصدومة.. أكتم خيباتي كلها في نظرة. تابع كهجوم ليل:

- ولكنها طبيعة الحياة.. الحياة ليست ناعمة فُرات، هي تشبه قسوة عينيكي حين أُخفق!

قاطعته بـ مرارة:

- وهل تُخفق أبداً ثائب؟!

ابتسم بنبرة مُحترقة:

- كثيراً..

تركني فنام دون عشاء وتحججت أنا بمرض وهمي بـ نادية كي أجاورها، بعد ساعتين أو أكثر وحينما اطمئننت لنومه تسللت حافية نحو حاسوبه القديم تتوه أصابعي على حروفه، ألهث في بحثٍ مذعور عن تكذيب افتراض كـ مخلب

أبكي فأكتم شهقاتي واحتمالية أنه أخذها غصب تهديني بؤساً أزلياً بلا رحيل.

أتجاهل وأرسم حكايا خُرافية، ربما هي حبيبة أو عشيقة وسرقتهما اللحظة.. أنفض من عقلي الصورة اللعينة التي لا تأبى تتكرر

لمَ تفعل بي هذا يا ثائب!

كيف احتملت؟

كيف غفرت!

كيف سقطت في وهم مسامحتي لك؟

بل كيف صدقتك وكذبت ما رأيته بـ عيني!

لم تكن عاهرة

كانت الحقيقة المجردة التي خدعت نفسي كي لا أصدقها

كانت مُجبرة !

عُدت لـ ملامحها.. هروبها الصامت من اللحظة وضيق جدران غرفتي على جسدها، وصل عقلي لدرجة غليان مميتة والاحتمالات تطعنني بلا رحمة.

ووجدتها..

الصورة

الإسم

الخبر

وتفاصيل حكاية على موقع إخباري

وجدوها بعد ثلاثة أيامٍ

جُثة!

****

(11)

حلقي بلا مياة.. أبتلع زجاجٍ متكسر.. والهواء حولي مكتوم وكأن رأسي محتجز في فُقاعة.

تفاصيل صادمة تمر أمام عيناي بينما تتكاثر صور تخص الفتاة وأمها وأبيها.. أخ باكي وأخت صغيرة تسأل عنها.

آراه خلف هذا كله يبتسم، وجهه ضخم يملأ شاشة الحاسوب كلها.. ينالها من جديد.. يلتهمها.. هي وعائلتها كلها!

حاولت أن أقف.. أستقيم.. أحتضن نادية وأهرب.. أبكي على صدرها..

صرخت..

صرخت دفعة واحدة بلا ترتيب

خفت منه

تصورته أمامي

ف نالني فزع لم أعرفه من قبل، ركضت بسرعة فريسة تبحث عن حياة.. احتضنت ابنتي وبقيت ليلي ساهرة أهرب من تفسيرات وتحليلات تذبح.

في الصباح تأمل بلا كلمات شحوب وجهي، تناول طعامه ببطء وهو يداعب نادية.. ابتسم لي بحزن ساخر ثم تأرجحت الكلمات بين شفتيه:

- خذي حذرك من السكين فُرات.. أنا أعشق أصابعك

وطبع فوقهما قُبلة لم يفعلها من زمن، قال ينفث حروفه كدخان تبغ:

- باردة كالثلج..

همست بلا وعي:

- كالموت!

تفحصني بتوجس فهربت.. هربت من مواجهته، قبلت جبهته بتردد فسحبني نحو صدره بتملك، قال لي وصوته ينتهج خشونة مُكترِثة:

- اقتلي الأفكار.. إنها مؤلمة

توحشت نبرتي رغم ضعفها:

- قلت لي من قبل أنك تزوجتي لأنك احتجت امرأة.. أي امرأة

ضاقت عيناه فقاطعني بنبرة مناخية

قاتمة كالشتاء:

- وأخبرتك أنني أحببتك

ومزهرة كالربيع:

- لن أحب امرأة غيرك

مثيرة كالصيف:

- نصفي يا فُرات

وميتة كالخريف:

- رغم أنني لا أؤمن بالحب!

قلت بـ حيرة يائسة:

- تصورتك رجلٌ جامد القلب.. يستيقظ في الصباح وينام في المساء على ركض حياة بين لحم وعظام وشحم. أنا أعرف أنك قاسي القلب ثائب ولم أكترث.. أعرف أنك اخترت مجرد امرأة في قاموس النساء ولم أبالي.. أعرف أنني نصف لأنني أحتل نصف عقلك فقط وكنت راضية.. أعرف أنك خنتني وابتلعتها بخضوع.. أعرف...

وتوقفت..

بل صرخت

جهرت بها

جهرت بها وانتهى

- أعرف أنها ماتت.. أنها كانت مُجبرة.. أنك اغتصبتها!

(12)

عيناه تجرف النظرات كـ بحر، يواجهني على طاولة بينما أقابله أنا بعمر امرأة عجوز سبعينية كنت دوماً أتشبث بـ حذائها.

عبراتي مياة راكدة ووجعي.. جنون!

تلك ليست حكاية واقعية لا.. هي ثرثرات امرأة مضطربة.

أركض نحو وهم أنه لم يفعلها.. أغرق في الإنكار.. أمزق الجريدة وأتجاهل صورة الفتاة وتقرير صحفي يؤكد أنها مُغتصبة.

مراراً..

ماتت مختنقة بفعل وسادة

وجرف البحر جثتها بيت تيارات مد وجزر

جاهد صوتي ببحة:

- كيف؟

لم يزح عيناه عني، كان قاتلاً لأول مرة وثباته ثبات رجلٍ ذبح لمراتٍ عدّة.

خشونة نبرته خرجت منتظمة، كحد سكين يوقن الجرح بفطرة شيطان:

- وجدتها بالصدفة.. كنت في سيارتي أبحث عن لفافة ما تهديني نشوة وكانت هي تسابق الظلام كي تلحق بآخر حافلة. كنت منتشياً أردت امرأة لـ ليلة وبدت تناسب الرغبة!

أمسكت عنقي، هاجمني اختناقاً لا محتمل.. عيناي مغمضة كي لا أراه:

- ببساطة هكذا!

سكب كلماته في قسوة:

- أردتها.. قاومت فوجدتني أحتجزها في سيارتي، بعدها بدا الأمر سهلاً.. سكين وقبضة قوية وخضوع بدا مناسباً لها، أحضرتها هنا

استقمت بصرخة.. قذفت ما وجدته من أوراق في وجهه.. بكيت.. اقترب مني فأزحت وجهه بأصابعي الخمسة

أمسك جسدي يهزه في زمجرة ذئب، بل ضبع.. أنا لا أراه سوى ضبع

- لم تقاوم فُرات افهمي.. حاولت ولكنها لم تثابر. ظننتها تريد الأمر مثلي

- قتلتها!

- ماتت.. لا أعلم كيف هي ماتت.. صرخت بكل ما تمتلكه من صراخ، وكأن غيبوبتها استفاقت فجأة.

أردتها أن تصمت.. كل ما فعلته أنني أردتها أن تصمت

كان يقذف الحروف في ثورة، ليست ثورة ندم لا.. هي ثورة قاتل خلف قضبان جريمته

هذر بها في النهاية:

- لم يكن من المفترض أن تعرفي!

على حواف قبر.. ناح غراب، القبر قبري والغراب هو ظل أسود شاهد على حياتي معه، تجمعت الحروف وتبعثرت:

- أنت أسوء من قابيل هل تعرف هذا.. قابيل شعر بالندم حين لمح غُرابه

وجهه مستطيل.. بضوء كوكب أسود حل مكان القمر في ليلة وحشية، ظِل صوته مر كمقطوعة كابوسية:

- نحن جاورنا الشيطان في الجنة.. نخدع نفسنا كل ليلة أننا هنا بسببه، وليس لأننا نستحق

صرخ.. صرخ في ذروة مقطوعته:

- استفيقي يا فُرات.. أنا الإنسان والشيطان في نفس الجسد ولا تملكين رفض ذلك

اقترب مني.. أحاطني بأذرع كالأخطبوط، عيناه ترى ما في صدري.. وكأن الإنسان حين يقتل يفقد جزءً من روحه

يفقد انسانيته وينتصر إبليس

هذر بصوت الشيطان نفسه:

- تقاتلين كامرأة.. تنبشين.. تبحثين عن الحقيقة في نضال ضوئي. دعينا إذاً نشاهد العرض كله، سآخذك في رحلتها وستعلمين ما حدث لها!

****

(13)

أنت تخدع نفسك.. فكر جيداً

كم من حولك من الناس ظننت أنك تعرفه!

اختبرت سقوط القلب حتى الكاحل، ظننت أنه سيقتلني.. يخنقني بالوسادة أمام ابنتي، يكومني في حقيبة سيارة.. ويفعني لـ قاع بحر

كانت السيارة تأكل الطريق أكلاً، نادية فوق ساقي وهو يجاورني والظلام يطل علينا كسحابة قاتمة بلا حياة. صوته يوازي الصمت وكلاهما موت يقتلك بلا رحمة:

- تخافين مني فُرات.. تنكرين كل لحظة بيننا وتخافين كامرأة ساذجة!

لا أجيب.. أظن أنني فقدت صوتي.. بل فقدت حياتي بأكملها، حين واجهته كنت يائسة.. كنت أتعس امرأة على وجه الدنيا تنبش في القبور عن كذبة. ولكنه ببساطة اعترف، اعترف وكأنه يزين ضميره بحواف زجاجية حادة تقتل كل من يقترب.

أردف بنبرة مخيفة:

- حواء نصف آدم.. حين خرج من الجنة أخذها معه!

وتابع وكأنه حديثاً له فيه دور البطولة:

- حواء لم تخطيء.. لم تبحث عن التفاحة ولكنها جاورته في السراء والضراء

صرخت.. فقدت صبري ونفسي وثباتي الزائف:

- أنت لست آدم.. آدم لم يقتل

وأرخى جفنيه في سلام وكأننا نتجادل عن نوع قهوة

- وأنتِ لا تعيشين في الجنة!

ركضت السيارة، تناثر الأسفلت تحت عجلاتها، مررنا بأحد لجان الطريق الروتينية فمررونا دون إكتراث بالنظر في ملامحنا.. همس ساخراً:

- في المرة السابقة مررت وحدي وكانت هي مكومة في حقيبة السيارة، الأمر ليس عائلة وطفلة صدقيني.. هو ثبات إنفعالي وكسل ضابط شاب.

قرب ميناء مهجور توقف يحادث أحدهم وهو يشير نحو سيارتنا.. يكرر مثل المرة السابقة والرجل بلامبالاة يغيب لنصف ساعة ثم يعود مع قارب متهالك وأسنان صفراء ضاحكة تحصي وريقاته النقدية.

تشبثت بـ نادية ورفضت الخروج من السيارة، بكيت.. توسلت.. لم أجرؤ على الصراخ. كل ما امتلكته هوان كان يطلب حياتي أنا

جذبني من ذراعي كذبيحة والرجل الشره لأمواله لم يكترث، همس بفحيح أفعى:

- هل رأيتِ فُرات، العالم أسود

قذفني على أرضية القارب ووجدتنا نغرق في ظلام البحر، ليلة باردة.. دثرت نادية بغطاء صوفي وطفقت أمرر ضعفاً لا كلمات:

- دعنا نعود ثائب.. نادية ستمرض

تجاهلني وأمسك بالمقود في مقدمة القارب ثم غاب صوته وكأنه ينبش ماضيه:

- قال لي صديق قديم كان يعمل بالصيد عن سولونارس.. هو جدول يقيس المد والجزر كي ينبئهم بأماكن تواجد السمك.. كما تعرفين فُرات.. الحياة مدّ وجزر.. تفيض وتأخذ ويبقى وجودك في اللحظة المناسبة

كان يحرك يده باستمتاع وكأنه ينتشي باللحظة!

اسودت عيناه متابعاً:

- قذفت بجسدها هناك.. في تلك البقعة، كان قد بات بارداً بجمودٍ مخيف.. الموت قاسي فُرات يبدلك بلا شفقة.

تخلصت منها على الفور لم أفكر.. لم أحسب المد والجزر ولم أنتبه فانحسرت المياة ووجدوها بعد أيام

انكمشت متشبثة بابنتي بينما مر صوتي بـ ثُقل:

- الموت بدلك أم بدلها ثائب

جاوب يسحق حروفه:

- كلانا!

****

(14)

ستمضي الحياة !

هكذا أخبرني بينما كان يلوك في فمه بقايا شريحة سمك ابتاعها من بائع متجول في الطريق ويملس على ارتجافي ورأس نادية. كنت أضمها بين صدري، لا أعرف متى توقف القارب، متى ترجلنا وعدنا نحو السيارة كي تأخد مسارها راجعة .

للحظة ..

بل لساعة كاملة.. ظننت أنها رحلة بلا عودة .

أكمل جوار صوت الهواء الضارب فوق وجوهنا من نافذة السيارة:

-ستمضي الأيام يا فُرَات، وستعتادين النغزة.. وجع الضمير يشبه تلك النغزة المزعجة التي تضرب فوق صدرك بعذاب مُستحق، لا تقتلنا بل نحيا بها.. لنتعذب أكثر

استدرت أشعر وكأنني شخت لأعوام، واستكمل هو بسلام نفسي !

-ستمضي الأيام مع عجين أمك، وزيارات اخوتي.. صخب نادية وسعادتها وأمل عينيها في حياة هادئة مستقرة

وضاقت نظرته حينها، وكأنها يخبرني أنني لهذا صمتت.. تنازلت.. ابتلعت عار الصمت صاغرة .

ماذا علي أن أفعل؟ !

أسبح في تيار تحقيقها مستحيل كي أضعه خلف القضبان وتبقى ابنتي في عاره بقية عمرها. أم أطلب منه أن يكفر عن ذنبه ويعلم الله أنني لا أعلم كيف !

ضحك ساخراً وكأنه يسمع ألمي:

-أربط نفسي بصخرة وأسقط في المياة؟ !

رمقته بـ كراهية والتقطها فباتت نظرته مدممة وكأنها تنزف .

-حتى هذا لن يعيدها فُرَات.. هي رحلت وانتهى ولا يجب علينا أن نذكرها ثانيةً

الصمت كالعواء، والسيارة تركض كقطار فوق قضبانٍ بلا حد سرعة. كل خلية في جسدي تنتفض ..

من أنا؟ !

مجرد ضحية مغلوبة على أمرها

أم شريكة معه في ثوب شيطان سكت عن الحق لأنه جبان !

بات المنزل ك سجن يأخذ من روحك بلا هواده، أرمق ابنتي بلا قرار وأعيش ك ظلٍ بلا رغبة .

ينظر لي ..

يرمقني بلا معنى ..

يأخذ شفتاي في احتياج أرفضه وكأن قبلته تسلب إنسانيتي !

لا يرغمني.. تخترقني نظرته كـ ثُقب ثم يرحل ..

يأتي في المساء.. يرفعني من جانب نادية.. يمسك بكلا كتفي وهو يواجهني على الفراش، ثم يضع رأسه فوق ساقي متمتماً بأنفاسه :

-لا أستطيع النوم فُرَات.. ملسي فوق رأسي كي أنام !

يترك جفناه لـ غيمة رمادية، وأملس أنا خصلاته كـ شبح فقد النطق.. ينام.. يغيب الليل كله على ساقي .

وفِي الصباح يصحو كـ آخر يمارس حياته بلا ذرة ندم !

****

(15)

- ماذا تفعلين؟ !

أرمق وجهي في المرآة.. تحادثني نفسي.. حوار كامل كـ المجانين.

أرمقني باحتقار :

- غفرتي له حين خانك، وتعثرتي في طريق الغفران حين علمتي أنه اغتصبها. والآن ماذا؟! ستعاشرين قاتل

- لا.. لا.. لن أعاشره.. لن أحتمل.. هو فقط والد نادية

- أنتِ تعاشريه بالفعل يا غبية، ماذا بقى؟! الجسد! أنت تعيشين معه كبقرة مطيعة

-ماذا تودينني أن أفعل؟! أضع زوجي ووالد طفلتي خلف القضبان !

-قضبان هه

ضحكت به المرآة هازئة، أكملت بتوهج هيستيري :

-سيموت.. سيلفون حبل الأعدام حول رقبته

-لا ...

صرخت بها في انهيار

-لا أستطيع احتمال فقدانه بتلك الطريقة

تشنجت ملامحي في المرآة.. تحولت.. رأيت نفسي آخرى .

ملامح الفتاة المجبورة تتشكل في وجهي بينما يأن صوتها جوار صوت مياة تشبه المرور في الحلق حين الغرق، كل ما قالته عبارة واحدة

حقيقة.. أشبه بـ كابوس

-قتلني !

قتلها..

كتم أنفاسها بـ وسادة كنت أنام فوقها ..

حملها فوق ظهره كقطعة لحم خربة ووضعها في حقيبة ..

قذف بها في بحر أسود ..

وعاد لحياة زائفة مع عائلته ..

ضحكت المرآة.. كشفتني.. قرأت كل دواخلي

ومررت هواجسي ك هدير مُحترق

-وما أدراكِ أنه ليس هناك غيرها؟ !

أودّ الكذب

-لا.. لا ..

السقوط في كذبة أو الهرب منها لا أعلم

-ثائب لم يفعلها.. هي سقطته الوحيدة.. أنا أعرف جيداً! أنفاسه حركاته خلجاته عيوبه ضعفه ..

هذرت المرآة ببأس ساخر:

-هل كنت تعرفين أنه سيغتصب امرأة ثم يقتلها؟ !

صمتت.. تصلبت كتمثال حجري وضعوه بالخطأ في متحف موتى.. المحنطين بلا حياة وهو حي بلا حركة .

ضحكت المرآة بـ هذيان :

-استفيقي يا امرأة.. أنتِ لا تعرفيه، لم تعرفينه أبداً .

****

(16)

مرت سبعة أشهر.. أعيش كنصف ظل، ممثلة ربع قديرة..

أفقد نفسي ولا أعود.. رحلة على متن قطار حياته دون رفاهية الاختيارات.

شعر بالتعب فـ ملست على رأسه وهو نائم:

- هل تعرف شعور امرأة في تابوت؟!

سألني وهو يتنهد دون غضب:

- هي؟

- بل أنا!

صمت كثيراً.. صمت يبيح إعداد قدح قهوة، تابع بـ فتور:

- شاهدت مرةً فيلماً عن رجلٍ قتل زوجته! كان مجرد شخصاً بسيطاً هادئاً يمضي كما المعتاد في الحياة.. صرخت به.. نهرته.. أهانته.. فقد شعوره.. دفعها.. صدمت رأسها وماتت!

كنت أعلم أنه لا يقصدني.. كان يكرر ما حدث معها لنفسه، يبرر..

تابع بألم:

- توقف عالمه.. أطفاله على وشك الحضور من المدرسة.. الزوجة ملقاة والكثير الكثير من الدماء، قام يداري جريمته بعشوائية.. لف جسدها وألقاها بعدها في مكان نائي وتعامل مع الجميع وكأنها سافرت

التوت شفتيه بسخرية قاتمة:

- كان يبحث عنها!

أغمضت عيني أهرب من حكايته ولكنه لم يصمت، تابع بإصرار:

- لو كنتِ مكانها ماذا ستفعلين فُرات؟!

نظرت له بضياع:

- ماذا؟!

كرر دون مفاوضة:

- مكانها فُرات.. مقتولة! والحياة لا تحتمل الجود على عائلتك بأكثر. ماذا ستفعلين؟ تلقيه خلف القضبان أم تتركين لهم ما بقي من الحياة.

عادت لحظة الصمت.. لحظة لها وقع كهرباء "تسلا" التي لم يفهمها أحد! احتلت شفتاي ابتسامة باهتة، عدت إلى تابوتي كما أراد، تكبر نادية.. تتشبث به وكأنها وردة نحو ذبول في ظل قاتل.

يأتي يوم العطلة

يضحك بقهقهة راضية وسط عائلته

يكتسب حياة فوق حياة وأنام أنا بين جدران موت

هذر.. ثرثرة.. كل شيء بلا معنى!

لحن الحياة يتبدل.. يتغير سريعا.. ينام ويصحو وينتفض في ذروة.

- نادية.. نادية استيقظي!

كانت الخامسة فجراً.. محفظتي بها القليل من المال للبعض، ولي ثروة!

فوق رأسي وشاحاً أزرق.. تنورة سوداء طويلة وقميص أبيض باهت، حذاء جدتي!

بعد خمسة عشر ساعة!

- اسمك؟

- أمان!

- والفتاة؟

- حياة!

****

(17)

قبل أيام..

سألني الرجل ثقيل النبرة:

- جهزتي كل شيء؟

- نعم..

قلتها بـ ثبات ضمير ميت!

أليس هو من علمني قتل الضمير..

نقود معدودة من بيع القليل الذي أمتلكه من حُلي، ومبلغ مالي كان يحتفظ به لـ نادية ونسي أنني أمتلك حق التعامل به.. الجهة التي راسلتها ردّت أخيراً، بل أرسلوا لي دُفعة فلا أحد يقبل بالعمل في تلك المنطقة النائية.

قال الرجل الذي وجدته ببحث ضال على الشبكة العنكبوتية:

- بطاقة مزورة وشهادة ميلاد.. سيكلفك الكثير.. أنت تبتاعين حياة

تبعثرت كلماتي بحضور باهت:

- حياة! اسم الفتاة سيكون حياة..

أركض..

هي فوق صدري والأوراق بين يدي ک غنيمة

طريق نصف مظلم..

لجنة طريق روتينية لا تكترث

ضابط كسول!

سألني صاحب القارب بتوجس تذكرني!

- أنت؟!

- نعم..

صمت مع حفنة مالية، أخذت القارب.. انكمشت وحيدة في ركنه بعدما تخطينا منتصف المسافة، نادية تنظرلي وتضحك

أهمهم بنصف بكاء:

- لن تعرفي أبداً أن هذا اسمك

أستقيم.. ألملم عبراتي المبعثرة

أودعه في رأسي

أختار حياتي

وأفقده

تركت القارب يتأرجح في مكان اخترته، لففت الأوراق حول خصري في كيس بلاستيكي سميك، حملت نادية.. واستعنت بطوافة مستهلكة

تركت حقيبتي على وجه المياة.. قبعتها.. وشاحي

أنا الآن امرأة ميتة!

في الحافلة أسندت رأسي أبتعد.. أُبخر ملامحه.. كل شيء يتغير.. أشعر وكأنني أكتسب روحي من جديد

أفقد لأنال

والحافلة تركض كقطار فوق قضبانٍ بلا حد سرعة

قُضبان حريتي!

****

إن السطور تطبع بحروف سوداء عادية، إلا أن مجرد معرفة القراءة ليس كافياً لأجل قراءتها

" ألكسندر سولجنيتسين"

النهاية

مروة جمال